JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ
العدد الرابع والعشرون
(٧٣)- (٩١)

أثرُ شعرِ السيّد الحلّي في استنهاضِ الإمامِ المهدي(عليه السلام)

د. عمّار عدنان مناف الزويني
جامعة بابل
م.م صبا فريد برتو
جامعة بابل
مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتّاريخيّة
اختصاص اللّغةُ العربيّةُ
art.emmar.adnan@uobabylon.edu.iq
Saba.barto@uobabylon.edu.iq

المستخلص:

يعدّ شعرُ الاستنهاضِ وسيلةً للتّعبيرِ عنْ أغراضٍ شعريّةٍ متنوّعةٍ، فيستطيعُ الشّعراءُ إظهارَ ما يلجُ في مخيّلتهم ويقدّموه للمتلقينَ بصورٍ مختلفةٍ فالشّعرُ الاستنهاضيُّ يتطرّقُ لأبوابِ الحماسةِ واستثارةِ الحميَّةِ والفخرِ والعتابِ والاعتذارِ، وكذلكَ الشّكوى للتّعبيرِ عنْ مواجهةِ المشاكلِ العظامِ، ومنَ الشّعراءِ الّذينَ نظّموا في الاستنهاضِ الشّاعر سيّد حيدر الحلّي، وكانَ أغلبُ أغراضهِ بيانَ وتوضيحَ واقعةِ كربلاءَ ومظلوميّةِ أهلِ بيتِ النّبوّةِ عليهم السّلامُ، وكذلكَ تركيزُ عقيدةِ الإمامِ المنتظر عندَ المسلمينَ.

إنَّ الدّراسةَ تضمّنتْ دراسةً جماليّةً، معتمدةً منهجًا فنّيًّا في استقراءِ النّصوصِ، وتحليلها ودراستها، فهي تتّخذُ المنهجَ التّحليليَّ منهجًا لها.

أهم ما توصل إليه البحث هو الاستنهاض في شعر السيد الحلي، وظهر أنه مليء بالفنون الأدبية، والصور الفنية، وتنويع أغراضه.

كلمات مفتاحية: الشّعر، الاستنهاض، حيدر الحلي.

The effect of Sayyid al-Hilli's poetry in arousing Imam al-Mahdi

D. Ammar Adnan Manaf Al-Zuwaini
University of Babylon
M.M. Saba Farid Barto
University of Babylon
Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
Arabic Language
art.emmar.adnan@uobabylon.edu.iq
Saba.barto@uobabylon.edu.iq

Abstract:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

The poetry of arousal is a means of expressing the various poetic purposes where the poet can show what is in his mind and presents to the recipient in different images. Through the poetry of the Renaissance, we see many poets have approached the door of enthusiasm and provoke diet and pride and then repentance and sometimes apologize and the other complaint to express their inability in the face of the great problems and we can not miss that some of the poets who organized in the mobilization was to clarify and clarify the reality of the child and the injustice of the people of the House peace be upon them and the focus of the doctrine of absence in Muslims and finally do not overlook the important aspect which poets want to mention the people of the house it Peace and misfortunes, but it is Intercession them: (Say to him Aosolkm paid only in the affection of kinship).

The most important findings of the research is the mobilization of Mr. Al-Hali's poetry, and it appears that it is full of literary arts, artistic images, and diversity of its purposes.

Keywords: Renaissance, Literature Husseini, Haider Alhaley.

المقدّمةُ

الحمد لله ربِّ العالمينَ ، والصّلاةُ على رسولهِ خيرِ الأنامِ، وعلى آلهِ الأطيبينَ الأطهرينَ.

حرصَ الشّعراءُ بهمومِ المجتمعِ، وحَرصوا على جعلِ شعرِهم لسان أمّتهم، ومرآة لمجتمعِهم، وهذا ما وجدناهُ واضحًا في شعرِ الشّاعرِ الكبيرِ سيّد حيدر الحلّي (ت ١٢٤٦هـ)، فقدْ اهتمَّ الباحثونَ والنّقّادَ بشعرِهِ لمَا لمسوا فيهِ الصدقَ في العاطفةِ والجودةَ في سبكِ البناءِ الجملي، والدّقةَ في اختيارِهِ للألفاظِ بجميلِ الأجراسِ، فتجلّى الإبداعُ عندهُ على نحو جليٍّ في القصائدِ الّتي ظهرَ فيها استنهاض مولانا الإمام المهدي(عجّل اللهُ فرجهُ)، وقدْ جاءتِ الدّراسةُ الموسومُ بـ (شعر استنهاض الإمام المهدي عند السيّد حيدر الحلي) لبيانِ توظيفاتِ السيّدِ الحلّيّ في نضجِ مفهومِ الاستنهاضِ في السّبكِ الشّعريّ؛ ليرسمَ صورةً أدبيّةً مائزةً تُعبّرُ عنْ مضامينَ غابَ جمالُها عنِ الأدباءِ والشّعراءِ، فلذلكَ أجابتِ الدّراسةُ عنِ الاستنهاضِ في شعرِ السيّدِ الحلّيّ منْ خلالِ استعراضِ الأساليبِ المتنوّعة، ومستويات اللّغة المختلفة، والّتي تمَّ توظيفها لموضوعهِ كالأمرِ، والاستفهامِ، والنّداءِ وغيرها، فضلًا عنِ استعمالاتهِ البلاغيّةِ، وكذلكَ تأثيراتِ الصّورةِ الشّعريّةِ والخَيالِ، والانتقالِ إلى دراسةِ آثارِ الاستنهاضِ علَى

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

المُستوَى الاجتماعي.

نسألُ اللهَ تعالى أنْ تُسهم هذهِ الدّراسةُ في فهمِ الاستنهاضِ الخاصِ بالإمام المهديّ، وطبيعةِ الاستعمالِ اللّغوي في مؤازرته، لذا فإن كنّا قد وفّقنا، فذلكَ بفضلِ اللهِ سبحانه، وما توفيقنا إلاّ باللهِ تعالى شأنهُ.

المدخلُ

الاستنهاضُ

الاستنهاضُ لُغةً:

النُّونُ و الهَاءُ والضَّادُ أصلٌ يدلُّ علَى حركةٍ فِي علوٍ (ابن فارس، ١٩٩٦م، ج٣ص٣٤)

ونَهَضَ مِنْ مكانهِ: قَامَ

و يقولونَ نَاهِضَةُ الرَّجلِ: بَنو أبيهِ الّذينَ يغضبونَ لهُ.

و النُّهوضُ: البراحُ منَ الموضعِ والقيامُ عنهُ.(ابن منظور،٢٠٠١م، ج١٤ص٢١٧)

و أنْهَضَهُ: حَرّكَهُ للنّهوضِ.

و إسْتَنْهَضْتَهُ لأمرٍ كَذا: إذا أمرتهُ بالنّهوضِ لهُ.

يدلُّ المعنَى اللّغويُّ علَى الحركةِ والانتقالِ منْ حالٍ إلى آخرَ وتَغييرٍ فِي الهيأةِ، أي الشّكلُ والموضعُ علَى المستوَى المادّيّ الملموسِ ويدلُّ علَى عمليّةٍ نفسيّةٍ تنمازُ بأثارةِ ردّ فعلٍ يأتي عنْ طريقِ التّحفيزِ.

الاستنهاضُ اصطلاحًا:

كانَ الاستنهاضُ معروفًا عندَ العربِ، وكانَ منْ عاداتِها استخدامهُ لإثارةِ الحفيظةِ وأخذِ الثّأرِ منَ الأعداءِ بكلِّ مَا أوتيتْ منْ قوّةٍ خصوصًا علَى ألسنِ شعرائِها، فالاستنهاضُ هوَ أثارةُ الحماسةِ للقيامِ بأمرٍ عاجلٍ منْ ثورةٍ أو عدلٍ أو ردعِ ظُلمٍ أو أخذٍ بالثّأرِ.

إنَّ شعرَ الاستنهاضِ هوَ الشّعرُ الّذي يقومُ بتوجيهِ دعوةٍ مصاحبةٍ بالعاطفةِ القويّةِ إلَى شخصٍ أوْ مجموعةٍ منْ أجلِ القيامِ الّذي يقابل العقودَ، وأخذ الحقَّ المستلبَ منْ جماعةٍ مقابلةٍ يعتقدُ أنّها علَى باطلٍ.

وردَ الاستنهاضُ فِي الشّعرِ الجاهلي، فنلحظهُ شاخصًا في دواخلِ قصائدِ الشّعراءِ وفي بطونِ الشّعرِ، لكنَّ أغلبهُ يتحدّثُ عنِ القبيلةِ وهمِ الآباءِ والأجدادِ، كونهم يدافِعوا عنْ أمجادِهم وأمجادِ أبائِهم كَما يتصوّرونَ، وكذلكَ لحمايةِ ذواتِهم والممتلكاتِ، يعبّرونَ عنْها بشعرِهم ومنهم زُهيرُ بنُ أبي سُلمى،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

والّذي يذكّرُ مجتمعهُ بالمبادئِ و الصّوابِ واستنهاضِ تلكَ القيم في دواخلِ الإنسانِ و يذكّرُ بالإنسانيّة و سماتِها للوصولِ إلى المجتمعِ الإيجابي يتماسكُ فيهِ الأبناءُ واتّحاد القبائلِ منْ أجلِ المصالحِ المشتركةِ.

أغراضُ الاستنهاضِ

١ – النَّهيُ

لُغةً: الكفُّ

اصطلاحًا: هوَ طلبُ الكفِّ عنِ الفعلِ علَى وجهِ الاستعلاءِ والإلزامِ، ويختلفُ عنِ الأمرِ فِي الصّيغةِ، فالنَّهيُ صيغتهُ هيَ الفعلُ المضارعُ المقرونُ بـ (لا) النَّاهيةِ الجازمةِ، والأمرُ يدلُّ علَى الطّلبِ، والنَّهيُ يدلُّ علَى النَّهي والمنعِ لا بدَّ فيهِ منْ كراهيّةٍ منهيّةٍ (أحمد مطلوب، ٢٠٠٤م،ص١٢٩)

إنَّ النّهيَ هو رغبةٌ فِي أنْ يكفَّ المخاطَبُ عنْ فعلٍ مَا، وهنا نقتصرُ فِي أسلوبِ النَّهي علَى النَّهي الواردِ بصيغةِ (لا تَفعل) كونها الصيغةَ المخصوصة للنّهي عندَ البلاغيينَ.

تُشكّلُ أساليبُ الطّلبِ المتنوّعةَ فِي شعرِ السيّد حيدر الحلّيّ ظاهرةً تركيبيّةً مائزةً، فالشّعرُ بحاجةٍ إلى التّطابقِ والتّناسقِ بينَ التّعبيرِ الفنّي، والتّجربةِ الشّعوريّةِ الّتي تصدرُ عنهُ؛ كي يتحقّقَ مستوَى التّواصل معَ المتلقّي مَا يخلقُ جمالًا منْ خلال التّنويعِ في صياغةِ الألفاظِ، وهذَا يؤيّدُ النّهيَ فِي شعرِ السيّد الحلّي، إذْ يقولُ:

فَلَا نصْفَ حَتَّى تَنضَحوا مِنْ سيوفِكمْ علَى كُلِّ مَرعَى مِنْ دماهم ومورِدِ
وَلَا نصْفَ حَتَّى تُواطِؤا الخَيلَ هامَهمْ كَمَا أَوطؤوهَا مِنكم خيرَ سيدِ
ولا نِصفَ إلاّ أنْ تقيمُوا نساءهمْ سبَايَا لَكمْ فِي مَحشدٍ بعدَ مَحشدِ

(الحلّي،١٩٩٥/،ص١٧٩)

يُعبّرُ الشّاعرُ فِي هذِهِ الأبياتِ النّابضةِ بالعاطفةِ الهيّاجةِ، وبعنفوانٍ هائجٍ معبّرٍ عنْ روحِ الاستنهاضِ والانتقامِ لقتلةِ الإمامِ الحسينِ(عليه السلام) والثّأرِ لسبايا كربلاءَ منْ بناتِ الرّسول الأعظم (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)، فهوَ لا يقبل بأقلَّ منْ هذَا، وقدْ أظهرتْ أداةُ النّهي (لا) مَا أرادَ قولهُ الشّاعرُ الحلّيّ.

ثمّةَ صورةٌ أُخرى لصورِ الاستنهاضِ المصاحبِ بأداةِ النَّهي (لا) هي قصيدتهُ الاستنهاضيّةُ الّتي يقولُ:

لَا تَشتفي أو تَنزعنَّ غروبهَا منْ كُلِّ شيعَه
لَا ينجعُ الإمهالُ بالعَاتِي فقمْ وأرق نجيعَه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

(المصدر نفسه،ص١٠٠)

فهنا يصوّرُ الشّاعرُ لوعةَ المحبّينَ لأهلِ البيتِ (عليهم السَّلامُ) الّذين يَتضوّرونَ مِنَ الانتظارِ، وقلوبهُم مملوءةٌ بالحزنِ والأشجانِ، ولنْ تشفى صدورُ شيعتهم إلاّ بظهورِ الإمامِ المهدي (عليه السلام) للانتقامِ وأخذِ الثّأرِ منْ ظالميهم.

ويستعرضُ الشّاعرُ الصّورَ الاستنهاضيّةَ للمتلقّي؛ وكأنّما يريدُ مشاركتهُ فورانهُ وحماستهُ وشدّةُ تأثّرِه، إذْ يقولُ:

وانتَضوهَا قضبًا هنديّةً بسوَى الهاماتِ لا تَرضَى الصقَالا
وابعثوهَا مثلَ ذؤبانِ الغَضَا لا تَرى إلاّ عَلَى الهَامِ مَجَالا

(المصدر نفسه، ص١١٣)

ونراهُ في قصيدةٍ شعريّة استنهاضيّةٍ يقولُ:

مطلَبتنا البرءُ فِي تعليلِهَا وسوَى مرآكَ لَا نلقَى شِفاءً
لَا أرَى الرّحمةَ مَنْ قالَ رياءً: قلت الرّوح لمولاها: فداء

(المصدر نفسه،ص٣٤)

٢- الشّكوى:

لغةً: شكو: الشّينُ والكافُ والحرفُ المعتلُّ الاصلِ يدلُّ علَى التّوجّعِ منْ شيءٍ (هارون،١٣٩٠هـ،ص٥٠٣) منِ اشتقاقاتِ كلمةِ شَكْوى هوَ الوجعُ والألمُ والحُزنُ والمرضُ وإظهارِ مَا يثبتُ فِي الإنسانِ واشتكَى بإضافةِ الهمزةِ تفيد إزالةَ الحزنِ والهمّ ومَا يرضَى بهِ الإنسانُ.

اصطلاحًا: الميلُ الفطريُّ عندَ الإنسانِ اللجوءِ إليهِ عندما يشعرُ بألم أو حزنٍ أو يأسٍ عمّا يوافقُ ذلكَ منْ إحساسٍ باضطهادٍ أو طغيانٍ أو ظلمٍ فِي الحياةِ الاجتماعيّةِ والسّياسيّةِ والفكريّةِ ويخرجهِ لدفعِ الظّلمِ الواقعِ عليهِ منَ الأفرادِ أو المجتمعِ ويبثّهُ إلَى آخرَ فِي اعتقادهِ أنّه يسمعهُ أو يفهمهُ ويستطيعُ أنْ يساعدهُ، وفِي القرآنِ الكريمِ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾(يوسف:٨٦).

إنَّ الشَّكوَى فنٌّ منْ فنونِ الشّعرِ الوجدانيّ الصّادقِ فِي تصوّرِ عواطفِ النّاسِ المشحونةِ بالمشاكلِ والتّعبِ والهمومِ البشريّةِ وفيهِ شَكْوى الأهلِ والأصدقاءِ والزّمانِ والحكّامِ، فللشَّكوى بواعثٌ طبيعيّةٌ يتعرَّضُ لهَا الإنسانُ عندَ الضّيقِ والألمِ والحُزنِ والمُصيبةِ، وهُناكَ بواعثٌ نفسيَّةٌ عندمَا يتعرَّضُ الإنسانُ للإهمالِ أو لسوءِ المعاملةِ والعنفِ والتّعسّفِ منْ قِبلِ الأفرادِ أو السّلطةِ فيتّجهُ إلَى الشَّكوى ليبثَّ بهِ همّهُ وأنينهُ وألمهُ، وهيَ تعبيرٌ واضحٌ عنْ الأنينِ الداخليّ الملتهبِ تعكسُ تصوّراتِ المرءِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

وهمومهُ الخاصّة.

الشّكوَى معروفٌ فِي العصر الجاهلي ولكنّها ليستْ غرضًا مستقلًا، بلْ هي منْ ضمنِ الأغراض الأُخرى، وسنذكرُ بعضَ قصائد الاستنهاضِ عندَ السيّدِ حيدر الحلّيّ الموجودة فِي ديوانهِ فِي بابِ الحماسةِ وبابِ مدائحِ أهلِ بيتِ النّبوّةِ ورثاءهم، ونختارُ أُنموذجًا منْ كلِّ بابٍ لكلِّ غرضٍ منْ أغراضِ الاستنهاضِ.

والشّكوَى غرضٌ منْ أغراضِ الاستنهاضِ الّتي قامَ بتوظيفِها السيّد الحلّيّ فِي قصائدهِ الاستنهاضيّةِ للتّعبيرِ عنِ الظُّلمِ والاضطهادِ الّذي تعرَّضَ لهُ أهلُ بيتِ المصطفى(عليهم السّلام)، وكذلكَ مَا أصابَ النّاسَ فِي عصرهِ منَ الجورِ وظلمِ الحكّامِ والفقرِ والمرضِ، إذْ يقولُ شاكيًا لمولاهُ الإمامِ المهديّ(عليه السلام) فِي قصائدِ الحماسةِ الاستنهاضيّةِ:

يَا غمـرةً مَـن لنَا بمعـبرِها ... مواردَ الموتِ دونَ مصدرهَا
يطفحُ موجُ البلاءِ لحظيرٍ بها ... فيغـرقُ العقلَ فـي تصوّرهَا
وشـدّةٌ عندها أنتهت عظـمًا ... شـدائدُ الدّهرِ مـعَ تكـثّرهَا
ضـاقتْ ولـمْ يأتِهَا مفرجُها ... فجـاشتِ النّفسُ فِي تحيّرهَا
الآنَ رجسُ الظّلالةِ استغرقَ ... الأرضَ فضجّتْ إلَى مطهرهَا
ومـلّةُ اللهِ غـيرتْ فغـدتْ ... تصرخُ للهِ منْ مُـغيرهَا
فالنّطفُ اليومَ تشتكي وهيَ في ... الأرحامِ منهَا إلى مصورهَا

(الديوان،ص٣٥٣)

تكاثرتِ الشّدائدُ بالشّاعرِ الحلّيّ حتّى صوّرَ لنا النّطفَ وهي ما زالتْ فِي الأرحامِ تشتكي إلَى اللهِ تعَالى منْ خلاصِها ممّا حلّ بهَا، فكيفَ يكونُ حالُ الشّاعرِ وهوَ يحملُ مسؤوليّةَ المجتمعِ وينطقُ باسمهم، وفِي قصيدةٍ منْ قصائدِ المديحِ الاستنهاضيّة في مدحِ المصطفَى (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ) والإمامينِ الهاديينِ العسكريينِ(عليهُمَا السّلامُ)، فبعدَ ذلكَ يستنهضُ الإمامَ المهدي(عليه السلام) فيرسلُ شكواهُ إلى الإمام المهديّ(عليه السلام) مباشرةً منْ ظلمِ الزّمانِ وجورهِ، إذْ يقولُ:

وبنَا عرّجْ علَى تلكَ الّتي ... أودعتنَا عنـدهَا (الغيبة) داء
يَا إمامَ العصرِ مَا أقتلها ... حسـرةً كانتْ هيَ الدّاء العياء
مطلتنا البرءِ في تعليلها ... وسـوى مـرآكَ لا نلقَى شفاء
فمتَى تبردُ أحشـاءٌ لنَا؟ ... كدْنَ بالأنفاسِ يضرُّ منَ الهواء

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

(المصدر نفسه،ص٣٤)

يُطالعنا السيّد حيدر الحلّي فِي غرضِ الشَّكوى الاستنهَاضِي فِي قصائدِهِ الخاصّةِ بالرِّثاءِ الاستنهاضيّةِ بأكثرَ منْ قصيدةٍ يدعو ويحفّزُ كلَّ مَن لديهِ شكاية لهمومهِ وغمومهِ أنْ يشتكيها إلى بابِ اللهِ سبحانهُ الإمامِ المهديّ (عليه السلام)، إذْ يقولُ فِي قصيدةٍ لرثاءِ الإمامِ الحسينِ(عليه السلام) يستنهضُ الإمامَ المهديَّ (عليه السلام):

يا ناهجًا في السّرى قفراءَ مـــوحشةً ... مَا كـــانَ جانبُهَا المـرهوبُ منتـــهجَا
صديانَ يقطعُ عـــرضَ البيدِ مقتعدًا ... غــواربَ العـــيسِ لمْ يقعدْ بهـــنَّ وجَا
خذُ منْ لسانِي شَكـــوى غيرَ غائبةٍ ... منْ ضيقِ مَا نحـــنُ فيهِ تضمنُ الفرجَا
تستنهضُ الحجَّةَ المهديَّ مَـــنْ خَتمَ ... اللهُ العـظـــيمُ بـــهِ أباءَهُ الحُجـجَـا
لمْ يستترْ تحتَ ليلِ الرّيبِ صبح هدىً ... إلّا وللخـلقِ مـــنـــهُ كـــانَ منـبلجَـا
الفارجينَ مضيقَ الكـــربِ إنْ نـــدبوا ... والكاشفـــينَ ظلامَ الخطـبِ حينَ دجَى

(المصدر نفسه،ص٧٣)

فهُنا يصوّرُ الشّاعرُ الخلقَ فِي حيرةٍ منْ أمرهِم وما بوسعهِم ردَّ الظّلم والجور عنهم، فيأخذهم ويحثّم إلى التّوسّل بالأئمةِ الأطهارِ (عليهم السّلامُ)، وبتعجيلِ فرجِ مولانا صاحب الزّمان المهديّ(عليه السلام) ويبثّوا حزنهم وشكواهم إليهِ؛ كي يخلّصهم ممّا همْ فيهِ من البلاءِ والضّيقِ والكربِ.

وفي قصيدةٍ أُخرى منْ قصائدِ الرِّثاءِ الاستنهاضيَّةِ وهيَ في الشَّكوى أيضًا في رثاءِ أميرِ المؤمنينَ عليّ بن أبي طالبٍ وأولاده (عليهم السّلام)، ويستنهضُ فيها الإمامَ المهديّ(عليه السلام)، إذْ يقولُ:

أقائمُ بيتَ الهُدى الطَّاهـــرِ ... كمِ الصّبرَ فتَّ حشَى الصّابر
وكـــمْ يتظلّمُ ديـــنُ الإلهِ ... إليكَ مـــنَ النَّفـــرِ الجَـــائر
يمدُّ يدًا تشتكي ضـــعفهَـا ... لطيّكَ في نبضهَـا الفَـــاتر

(المصدر نفسه،٨٢)

ألى أن يقولَ:

وطولُ انتظاركَ فتَّ القلوبَ ... وأعضَى الجفونَ علَـى عاثـــر
فكـــمْ ينحتُ الهمُّ أحشاءَنا ... وكـــمْ تستطيـــلُ يـــدُ الجـــائر

(المصدر نفسه،٨٢)

ثمَّ تصاعدتْ حدّةُ الشّكوى عندَ الشّاعر الحلّيّ، فيجيبُ السّائلَ الافتراضيَّ بأنْ يقولَ لهُ: (أصبرْ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

أو تصبر)، فيجيبهُ حتّى يكادُ يتمنَّى الموتَ علَى العيشِ بالذلِّ والهوانِ:

أصبرًا وسربَ العدَى راتـــعُ ... يـــروحُ ويغْدو بِلا ذاعـرِ
وبتـــنَا نـــود الـرّدى كـلّنا ... لنـنقـــلَ عنهـم إلى قابرِ
فعنك إنطوى أي تلك الخطو ... ب فتحتاج فيه إلى النّاشرِ
فنشـكو إليهـــم ولا يعطفون ... كشكـْوى العقيـرةِ للعاقـرِ

(المصدر نفسه،ص٨٣).

٣-العتابُ:

لغةً: مَا دخلَ فِي الأمرِ منَ الفسادِ، ويقالُ مَا فِي مودَّتهِ(هارون،١٣٩٠هـ،ص٦٠٢).

اصطلاحًا: الموجدةُ والعُتبى رجوعُ المعتوبِ عليهِ إلَى مَا يرضِي العاتب.

قالَ الفراهيدي: العتابُ مخاطبةُ الدّلالِ ومذاكرةُ الموجدةِ، وقالَ الأزهريُّ: العتابُ هوَ كلامُ المدلّينَ أخلّاهم طالبينَ حُسنَ مراجعتِهم ومذاكرةِ بعضهم بعضًا مَا كرهوه ممّا كسبهم الموجدة.

وهوَ غرضٌ شعريٌّ يجعلُ الشَّاعرَ فِي موقفٍ حرجٍ يحتاجُ إلى براعةٍ وجدارةٍ وحيطةٍ؛ ليجعلَ عتابهُ متوازنًا بينَ عواطفِ المعاتبِ، لذلكَ تختلفُ طرقُ العتابِ باختلافِ أساليبِ الشّعراءِ فِي براعتهِ وموضوعهِ، إذْ الغايةُ منهُ هوَ التلطّفُ إلَى العاتبِ ونيلِ البُغيةِ برضاهُ منهُ وعُرفَ العتابُ في الشّعرِ العربِي منذُ العصرِ الجاهليّ.

إنَّ شعرَ الاستنهاضِ يتَّجهُ إلِى معاتبةِ الإمامِ المهديّ (عليه السلام) لمَا يراهُ الشَّاعرُ منْ سوءِ أحوالِ الزَّمانِ وأهلهِ وهذا الأمرُ لا يصلحُ إلّا للإمامِ المهديّ (عليه السلام) الّذي يستحثّهُ الشَّاعرُ للتَّعجيلِ بالظّهورِ والخلاصِ ممّا هوَ فيهِ منَ المحنِ والظّلمِ وقسوةِ الظّلمةِ أو جورِ الزَّمانِ عليهِ.

وأشارَ السيّدُ الحلّيُّ لهذَا الغرضِ، فنراهُ أكثرَ منْ عتابِ الإمامِ المهديّ (عليه السلام) فِي شعرِهِ الاستنهاضيّ ويأتِي فِي بابِ المدائحِ لأهلِ البيتِ عليهم السَّلامِ كمَا فِي قصائدِ الاستنهاضِ فِي مراثِي أهلِ البيتِ، وكذلكَ فِي قصائدِ الحماسةِ، ففِي قصيدةِ الحماسةِ الاستنهاضيّةِ يوجّهُ الشَّاعرُ عتابَهُ للإمامِ المهديّ (عليه السلام) علَى طولِ غيبتهِ معَ أنَّه يرَى بعينهِ مَا يحلُّ بالإسلامِ والمسلمينَ منْ مصائبَ وصعابٍ وأنَّ أشياعهُ يفعلُ بهم الويلات فِي كلِّ يومٍ منْ قبلِ الظَّالمينَ، إذْ يقولُ:

منْ مخبـري والنّفوسُ عاتبةٌ ... مَـــاذا يؤدِّي لسانُ مخبـرِهَا؟
لِمَ صاحبُ الأمرِ عنْ رعيَّتهِ ... أغضَى فغصَّتْ بجورِ أكفرِهَا
مَا عذرهُ نُصبَ عينيهِ أُخذتْ ... شيعـــتُهُ وهـــوَ بينَ أظهرِهَا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

(المصدر نفسه،ص٣٥٣).

ويستمرُّ الشَّاعرُ بعتابهِ، إذْ يقولُ:

مَاذَا لأعدائِـهَـا نقـــــــــولُ إذَا لمْ تنجِهَا اليومَ مـنْ مـدمّرِهَا
أشقة البعد دونك اعتـرضـــت أم حجبت عنك عـين مبصرها
كم سهرت أعين وليس سـوى انتظارهـــا غوثكـــــــم بسهرها
تغضى وأنت الأب الرحيم لها ما هكذا الظن يا ابن أطهـــرها
أن لم تغثـــها لجـــرم أكـبرها فارحم لها ضعف جرم أصغرها

(المصدر نفسه،ص٣٧).

فهُنا يصوّر السيّدُ الحلّيُّ من خلال استعمالِ الكلماتِ الخاصّةِ بالغوثِ وبالاستغاثةِ وصيغِ استفهامٍ لكي يُظهرَ عتابَ الموالي المؤمن صاحب العقيدة المرتكزة والثّابتة في داخلهِ.

كذلكَ قصائدُ المديحِ الاستنهاضيّةِ نجدهُ يبرزَ العتابَ باستعمالِ أُسلوبِ النِّداءِ في البيتِ الأوّلِ، وأسلوب الاستفهام في البيتِ الثّاني وأسلوب النّفي في البيتِ الثّالثِ ليرسمَ اللوحةَ الفنيّةَ المشتملةَ على أساليبَ لغويّةٍ وبلاغيّةٍ متنوّعةٍ في صورةٍ شعريَّةٍ رائعةٍ من قصيدةٍ يمتدحُ بها الإمامَ المهديّ (عليه السلام) ويتوسّل بهِ إلى الله سبحانه، إذ يقولُ:

يا بنَ الإمامِ العسكريّ ومَنْ ربُّ السَّمـاءِ لدينهِ انتجبَهْ
أ فهكذا تُغـضي وأنتَ تَرى نارَ الوباءِ تشبُّ مـلتهبهْ
لا تَنطـفئُ إلاَّ بغـاديـةٍ أنْ لطفّكم تنهـلُ منسكبهْ

(المصدر نفسه،ص٦٣)

وفي غرضِ الرّثاء لأهلِ البيتِ الاستنهاضيّ نراهُ يُكثرُ العتابَ للإمامِ المهديّ(عليه السلام) في قصائدَ عديدةٍ، إذْ يقولُ في إحداها:

نعمْ بكى والغيثُ مـنْ بُكائهِ ينحبُ والرَّعدُ مـــــن انتحابه
منتدبًا في صـــرخةٍ وإنَّمـــا يَستصرخُ (المهديُّ في انتدابه
يا أيُّها المحجوبُ عن شيعتهِ وكاشفَ العمى على احتجابه
كمْ تغمدِ السّيفَ لقدْ تقطّعتْ رقابُ أهلِ الحقِّ في ارتقـابه

(المصدر نفسه،ص٦٣)

ويقولُ أيضًا في قصيدةٍ أخرى:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

إمامَ الهُــدى سمعًا وأنتَ بمسمعٍ عتــابَ مثيرٍ لا عـتابَ مفندِ
فداؤُكَ نفسِي ليسَ للصّبرِ موضعٌ فتُغضِي ولا منْ مسكةٍ للتَّجلّدِ
أتَنسَى وهلْ ينْسَى فعـــالَ أميّةَ أخو ناظرٍ منْ فعلهَا جد أرمدِ
وتَقعُدَ عنْ حربٍ وأيُّ حَشَا لــكم عليــهم بــنارِ الغـيظِ لمْ تتوقّدِ

(المصدر نفسه،ص٦٤)

ويُعاتبُ الشّاعرُ في قصائدِ الرّثاء الاستنهاضيَّةِ، فيصلُ إلى مرحلةِ المزجِ بينَ العتابِ والاعتذارِ عن لسان الإمامِ المهديّ(عليه السلام) نفسه ، وهو يريدُ إقناعَ نفسه بأمرِ النّهوضِ هو أمرٌ إلهيٌّ، فيرسلُ رسالةً إلى مجتمعهِ مصدرها قوّةُ العقيدة والتّمسّك بقوانينِ اللهِ تعالى، إذْ يقولُ:

أقائم بيت الهدى الطّاهــر كم الصّبر فتّ حشى الصّابرِ
وكم يتظلّــم ديــنُ الإله إليك من النَّفــر الجــائرِ
نـرى منــك ناصره غـائبًا وشرك العدى حاضر النَّاصرِ
فنوســع سمعـكَ عتبًا يكاد يثيــرك قبــل نـدى الآمرِ
ونعـلــم أنَّك عـمَّا تــروم لم يك باعـُـك بالقــاصرِ
ولو كنت تملك أمر النَّهوض أخــــذت له أُهبـت الثَّائرِ
وإنَّا وإن ضــرستنا الخطوب لنعطيك جهد رضا العــاذرِ
فلــو تسأل الله تعـجـيله ظهــورك في الزمان الحاضرِ
لوافـتك دعـوته بالنّهوض بأســرعَ مـن لمحــة النَّاظر

(المصدر نفسه،ص٨٢)

نشاهدُ في هذه الأبيات كيف وظَّف السيّد الحليّ العتابَ للإمام المهدي(عليه السلام) توظيفًا جميلًا يعكس صورةَ الإنسانِ الّذي يحملُ العقيدةَ الخالصةَ الصَّادقةَ من تمسّكٍ بأئمتهِ سلام الله عليهم وتوضيح عقائدهِ من خلال الشّعرِ ولو استطعنا تحديد زمان هذه القصيدة ووقتها لاستطعنا الاستنتاج أنَّه ربما قالها في أواخر أيّامِ حياته لمَا اشتملت من وقارِ الرّجولة بعد انقضاء فوران ثورة الشَّباب، فيها نضجٌ ورزانةٌ وهدوءٌ وحكمةٌ ويستمر بلطافةِ الرّثائيّةِ الاستنهاضيَّةِ ويعود للعتاب مرَّةً أُخرى وعلى نفس السَّكينة والوقار الّذي لاحظناه في الأبيات السَّابقة، إذْ يقولُ:

كفى أسفًا أن يمرَّ الزَّمـانُ ولستَ بناه ولا آمــــر
وأن ليس أعيننا تستضيءُ بمصباحِ طلعتكَ الــزَّاهر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

على أنَّ فينا اشتياقًا إليكَ كشوقِ الرُّبى للحيا الماطر
عليكَ إمامُ الهدى عزمًا غدا البِرُّ يلقى من الفاجر

(المصدر نفسه،ص١٠٠)

إلى أن يصل إلى نهايةِ القصيدة، فيذكّر إمامه المهديَّ(عليه السلام) بتلكَ الأيّام الّتي مرَّت على أباءهِ وأجداده وما لاقوا فيه من الجورِ والظّلم على يد الطّلقاء وأبناءِ الطّلقاءِ، وكأنّه يريد أن يقولَ: بأنَّ (القوم أبناء القوم)، فيقولُ:

أجل يومنا ليــس بالأجنـــبي من يوم والدك الطَّاهـــرِ
فعنك انطوى أي تلك الخـــطو ب فنحتاج فيه إلى النّاشرِ
ومن ساهرِ الهمّ يبغي النّهوضَ منتظرٌ دعـــــوةَ الآمر (المصدر نفسه،ص٨٨).

ويختلطُ العتابُ بالاستغاثةِ في قصائدِ الرّثاء الاستنهاضيَّةِ في بعضِ الأحايين، إذْ يقولُ:

اللهُ يا حامي الشَّـــــريعة أتقرُّ وهي كذا مروعَـــــه
بكَ تستغيث وقلبـــــها لك عن جوىً يشكو صدوعَه
تدعوا وجرد الخيل مصغية لدعـــــــوتها سميعه
فصدورها ضاقـــت بسر الموت فأذن أن تذيـــعه

(المصدر نفسه،ص١٠٤).

أما عتابه للهاشميين والغالبيين وفهر أو نزار أو غيرهم فهو في أغلب الظّن موجه إلى المجتمع بصورة عامّة، وإلى المجتمع الّذي عاش فيه السيّد الحليّ أو إلى المهديّ(عليه السلام) ولا يستطيع التّصريحَ به صراحةً، فربما يكونُ ذلكَ بسبب الأوضاع البائسةِ في عصر السيّد الحليّ، إذْ يقولُ قصيدةٍ يرثي الإمام الحسين(عليه السلام) يستنهض الإمام المهديّ(عليه السلام):

فقل لنزارَ : ما حنينك نافـــــعٌ ولو متِّ وَجْدًا بعدهم وتـــزفَّرا
كأنَّكَ يا أسيافَ غلمان هاشـــمٍ نسيتَ غداةَ الطّفِ ذاك المعفَّرا
أ للعيشِ تستبقي النّفوس مضامـة وما الموتُ إلّا أن تعيشَ فتقسَّرا

(المصدر نفسه،ص١١٨).

ويخاطب في قصيدةٍ أخرى، فيخلطُ عتابًا بحسرةٍ وتوجّعٍ لما أصاب الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته في الطّف، إذْ يقولُ:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

ويأسًا بني الآمال أن لـيس مُفضِلٌ عليكم وللمظلوم أن ليس منصفُ
فأيَّةُ نفسٍ ليس تذهب حـــــسرةً عليهم وقلب بالأسى ليـــس يُتْلَفُ
فيا ظلّة السّارين إن غاب نجمــهم لقد خبطوا في قـــــفزة وتعسّفوا
ويا لصباح الدّين يوم تكـــــوّرت شموسُ الهُدى من أفقه فهو مُسْدفُ

(المصدر نفسه،ص١٠٦).

وهنا العتاب كانَ موجَّهًا إلى آل فهر، ولكنّه عتابٌ شديدُ اللّهجة بالغ القسوةِ والتّحسّر والحرارة؛ كأنَّه جمرٌ ساقطٌ من فم السيّد الحليّ؛ لشدّة لسعتهِ، إذْ يصفُ نفسه بالحيران الّذي لا يدري ما يقولُ، فتبلغ نزاعاته النّفسيَّة ذروتها، ويشتدُّ الصِّراعُ بينهُ وبين كلماتٍ تكاد تخرج من فمه كأنّها جمرٌ، إذ يقولُ:

جفَّت عزائمُ فهر أم ترى بـــــردت منها الحميّةُ أم قد ماتت الشّيمُ
أم لم تجدْ لذع عتبي في حشاشتها فقد تساقط جمرًا من فمي الكلمُ
أين الشَّهامةُ أم أين الحفـــاظُ أمَا يأبى لها شرفُ الاحساب والكرمُ
تُسبى حرائرُها بالطفِّ حاســـــرةً ولم تكن بغبارِ المـــــوت تلتثمُ

(المصدر نفسه،ص٦٨).

فنلحظُ من خلال البيت الأخيرِ شدّة لوعته، ولهجةِ العتاب المؤلمةِ لما كان يوم الطّفِّ من سبي للنِّساء وإحراقٍ للخيام وما إلى ذلك من مصائبَ حلّت بالإمامِ الحسين وآل الحسين من قبل أعدائهم .

ويؤكد عدم قبوله اعتذارهم؛ كونه ليس الوحيد الّذي يعاتبهم، فالنِّساءُ عاتبتهم على فعلهم هذا، إذْ يقول:

لمن أعدت عتاقَ الخيل إن قعـدت عن موقف هتكت منها به الحرمُ
فما اعتذارك يا فهر لم تبثّـــــــي بالبيض تثلم أو بالسُّمر تنحـطمُ
أجل نساؤك قد هزَّتك عـــــاتبة وأنت من رقدة تحت الثّرى رمـمُ
فلتفلت الجيد عنك اليوم خائـــبةً فما غناؤك حالت دونـــك الرّجمُ

(المصدر نفسه، ص١٠٠).

وأيضًا يعاتبهم بالشَّجاعةِ والحميّةِ، فالإنسانُ العربيُّ لا يقبل الجُبنَ:

عجبًا لسيفك كيف يألف غمـــده وشباه كافل وتره المـضـمونِ
فيما اعتذارك للنّهـــــوض وفيكم للضّيم وسم فوق كلّ جبـينِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

أيمينكم فقدت قـــــوائم بيضـــــها أم خيلكم أضحت بغير متونِ
لا ستكّ سمعُ الدّهر سيفك صارخًا في الهام فاصل حدّه المسنونِ

(المصدر نفسه،ص١٠١).

٤-الحَماسةُ

لغةً: بالفتح الشّجاعة، الأحمس : الشُّجاع .

الحماسة : الشّجاعة الشدّة (ابن فارس،١٩٧٩م، ٢٦٢) .

اصطلاحًا: هي غرضٌ شعريٌّ ناشئٌ عن الصّراع بين القبائل يثيرها ويحرّكها التّنافسُ على القوّة والغلبة، فأشاد الشّعراء بأمجادهم وانتصاراتهم الحربيّة «ولا بعد إذا قلنا أن الحماسة هو موضوع استنفذ قصائدهم فقد سعرتهم الحروب وأمدها شعراؤهم بوقود جزل من التّغنيّ ببطولاتهم وأنّهم لا يرهبون الموت ... ويرتفع هذا الغناء بل ظلّ هذا الصّياح في كلِّ مكانه بحيث يخيل إلينا أنّه لم يكن هناك صوت سواه، ولعلّ ذلك ما دفع أبا تمام إلى أن يسمّي مجموعة من أشعارهم وأشعار من خلفوهم باسم الحماسة» (شوقي،١٩٩٥م،ج١ص٢٠٢)

ا هتمَّ العربُ بهذا اللون من الشّعر كما يلاحظ في قصائدهم : (وهي ديوانهم الذي يسطّر تأريخهم ومناقبهم ومفاخرهم)، فالعربيُّ مولعٌ بذكر بطولاته وأمجاده ليست في الشّجاعة والحروب فحسب، وإنّما في الكرم والضّافةِ والسّخاء وحماية الجار والمستغيث : (ونستشعرُ في هذه الحماسة أثر الموجدة الشّديدة والحقد البالغ على خصومهم).

إنَّ الحماسة في العصر الجاهلي تعني التحمّس للقبيلة وذكر مآثرها وأيامها وغزواتها وفي العصر الإسلامي تحوّلت إلى التّحمّس للدّعوة الإسلاميّة والحثّ على نشر الدّين الجديد بما يلائم مبادئ وتعاليم الإسلام فيكن أن نسمّيها بالحماسة الدينيّة، أمّا في العصر الأموي فتحوّلت إلى حماسةٍ عنصريَّةٍ كما لاحظناها عند شعراءِ النقائض المعروفين، والعودة إلى القبليّة والطّموح والتّنافس على السّلطة واللّهث نحو المال والجاه واستمرّت إلى العصر العباسي على هذا النّحو بما يوافق مصلحة السّلطة الحاكمة والخلفاء.

والعصر المملوكي فالحَماسة والرَّغبةُ في الذّود عن الدين والأرض والمقدسات، ةقد بقي مستمرًّا هذا الأمرُ إلى أيّامِ الاحتلال العثمانيّ، ثم إلى العصر الحديث اتّخذ الشّعراءُ الحَماسةَ وسيلةً للدّفاع عن الوطنِ ضدّ المحتلّينَ الأغراب الأجانبِ.

تحوي قصائدُ السّيّد الحلّيّ في أشعاره الاستنهاضيّة سواء ما كان منها في قصائد رثاء أهل البيت

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

(عليهم السَّلام) أو قصائد مدح أهل البيت أو قصائد الحماسة في ديوانه ما يثيرها في نفوسِ المجتمعِ ويحثّهم على التمسّك بعقائدهم الإسلاميّة الأصيلة وفق منهج أهل البيت (عليهم السّلام) أو حثّهم على الوقوف ضدّ الظّلم والطّغيان المتمثّل بالاحتلال العثماني أو جور السّلاطين أو الهجمات الّتي يتعرّضون لها من قبل الوهابيّةِ في الأماكن المقدّسة .

وفي قصائد مدائح أهل البيت الاستنهاضيّة يختار السيّد الحليّ قافية الهمزة المنطلقة المرتفعة حيث يحلّق في فضاء مديح النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والإمامين العسكريين ويستنهض الإمام المهدي(عليه السلام)، إذ يقولُ:

فمتى تبرد أحشـــــــاءٌ لنا؟ كدن بالأنفاس يضرّ من الهواءا
ونرى يـا قائم الحق انتضت سيفـــــها منك يدُ الله انتضاءا
أفهل نبقى كـــما تبصـرنا. ؟ نـــنفذ الأيّام والصّـــبر رجاءا
لا أرى الرّحمة مـن قال رياءً قلّـــــــت الرّوح لمولاها فداءا

(الديوان،ص٤٥).

وفي قصيدة أخرى من قصائد مدائح أهل البيت الاستنهاضية حيث يبشر بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وما يكون على يديه حيث إنَّه سيملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، وسينتقم من ظالمي أجداده ويعود الحقُّ لأهله، إذْ يقولُ:

حتّى أنى الدّنيا الّذي سيهـــزّها حتّى يدكّ على السّهول هضابها
وسينتضي للحرب محتلب الطّلى حتّى يســـــيل بشفرتيه شعابها
ولسوف يدرك حيث ينهض طالبًا ترة له جـــــــعل الإله طلابها
هو قائم بالحقّ كم من دعـــــوةٍ هـــــــــزّته لولا ربُّه لأجابها

(المصدر نفسه،ص٣٢).

وما يلاحظ في البيت الأخير من هذه الأبيات هو عمق عقيدة الشاعر حيث يؤكد أن الإمام الحجة(ع) حي غائب يتألم لمصائب ونوائب أبائه ومواليه ولكنه الأمر بيد الله سبحانه وتعالى وقد أكدها الشاعر في مكان آخر حيث قال:

ولو كنت تملك أمر النهـــوض أخذت له أحبت الثائر

ويستمرُّ السيّد الحلّيّ في مديحه الاستنهاضيّ، فيذكر يوم ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) وفيها حثٌّ للتّعجيل والقيام بالأمر وماذا سيحصل بعد قيامه؟ حيث عودة الحقّ والأخذ بالثّأر وابتهاج الموالين،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

إذْ يقولُ:

فاليوم أبهجت الشّريعـــــة بالّذي ستنال عنـد قيـــــامه آرابها
قد كدّرت منها المشارب عصبةٌ جعـــل الإله من السّراب شرابها
يا مَن يحاول أن يقومَ مهـــــنيا إنهض بلغت من الأمور صوابها (المصدر نفسه،ص٢٩).

ويتوعَّد الظالمين بالانتقام منهم في مشهد من إثارة الحماس وبيان الشّجاعة واستخدام بعض الكلمات (السّيف) و (جماجم الكفر) و (بيده قائمة) و (الفتح والنّصر) من قصيده له في مدح، إذْ يقولُ:

سيف كفاك بأن طابعـه ملك السّما لجماجم الكفر
بيديه قائمة وعن غضبٍ سيسله لطلى ذوي الغدر
فترى به كم خور ملحدةٍ نهب وكم دم ملحدٍ هدر
حتّـى يعيد الحقّ دولته تختال بين الفتح والنّصر

(المصدر نفسه،ص٧٧).

وهنا يُقارن بين حرق الخيام في كربلاء لعيال الإمام الحسين وأصحابه، فتعاد الصّورة ولكن بيد الإمام المهدي (عليه السلام) وعلى أعدائه والظّالمين وبيَّن كيف أنهم هدروا دم ابن رسول اللهِ وأولاده وأهل بيته فلا يهدأ ولا يستقرُّ إلى أن يعيد دولة الحقّ وكأنها تزهو بين الفتح على يده والنّصر الإلهي المسدّد.

يبرز غرضُ الحَماسة في قصائد الرّثاء الاستنهاضيّة، حيث لا تكاد تخلو قصيدة من ذكر الشَّجاعة والشّدّة والقسوة وتحريك عواطف وأحاسيس المخاطب، إذْ يقولُ:

يا أيُّها المحجوبُ عن شيعته وكاشف الغمى على احتجابه
كم تغمد السّيف لقد تقطّعت رقابُ أهل الحثِّ في ارتقابه
فانهض لها فليس إلّاك لها قد سئم الصّابر جرع صابه
وقل ولكن بلسان مرهـــــف واجعل دماء القوم في جوابه

(المصدر نفسه،ص١٠٠).

ونلحظ الصّورة الجميلة في البيت الأخير من خلال المقابلة بين البيت الأول حيث السؤال باللسان المرهف، والجواب يجعل من دماء القوم يحكي بدلاً عنه.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

وفي قصيدة الرّثاء الاستنهاضيّة الأخرى يستعملُ الاسماء مثل (المورد) و (الضّارب) و (الطّاعن) و (الملقح) تعكس الصّورةَ الحماسيَّة من خلال تصوير حالات القتل والقتال الشّجاعة والحماسة فيها. إذْ يقولُ:

تستنهض الحجّة المهديّ من ختم ... الله العـــظيم به أباءه الحججا
المورد الخيل شقراً ثم يصـــــدرها ... دهما عليها إهاب النّقع قد نسجا
والضّارب الهام يوم الرّوع مجتـهدًا ... في الله ليس يرى في ضربها حرجا
والطّاعن الطعنة النّجلاء لو وقعت ... في صدر يذبل وهو الصّلد لانفرجا
والملقح الغارة الشعواء في أســـــد ... من كل شيخ نهى نجد وكهل حجى
يا مدرك الثأر كم يطوي الزمان على ... إمكـــــان إدراكه الأعوام والحججا
لا نوم حتّى تعيد الشمَّ عزمكـــــم ... قاعًا بـــــها لا ترى أمتًا ولا عوجا

(المصدر نفسه، ص١٠٦).

ومن أهمِّ قصائد الرّثاء الاستنهاضية التي نرى فيها حماسة السيّد الحليّ حيث تلتهب مشاعره وأحاسيسه في قصيدة يرثي بها الإمام الحسين(عليه السلام) ويهجو قاتليه، إذْ يقولُ :

فقم وعليها جرد السّيف وانتصف ... لنفسك بالعضب الجراز المجرد
وقم أرهم شهب الأسنة طلـــــعا ... بغاشـــــية من ليل هيجاء أربد(المصدر نفسه،ص٣٨).

فبعد إثارةِ حماسة الإمام المهديّ(عليه السلام) يطلب منه النّهوض بالانتصاف لنفسه وأجداده من الظّالمينَ المغتصبين لحقِّهم، فيذكّره بما فعل الأعداءُ بالإمامِ الحسين(عليه السلام) وأهل بيته في واقعة كربلاء وما قاموا به من هتك للحرمات، وحرق الخيام وسلب النِّساء، إذْ يقولُ:

فكم ولجوا منكم مغارة أرقـــم ... وكـــم لكم داسوا عرينة ملبد
وكم هتكوا منكم خباً لـــــحرّة ... عنادًا ودقّوا منكم عنق أصيد (المصدر نفسه،ص٣٨).

ويستمرُّ في الانفعال النَّفسي والحرقة واللوعة لإثارة الإمام المهديّ(عليه السلام) وبتذكيره بالماضي، إذْ يقولُ:

فلا نصف حتّى تنضحوا من سيوفكم ... على كلّ مرعى من دماهم ومورد
ولا نصف حتى تواطئوا الخيل هامهم ... كما أوطؤوها منكم خـــــير سّيد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م/١٤٤٦هـ

ولا نصف إلا أن تقيموا نساءهـــــم سبايا لكم في محشد بعد مـحشد

(المصدر نفسه، ص٣٩).

وتصل به حالة الفوران والتشفي إلى أن يقول بلسان حال المتألم المتوجع فتبلغ به حال الموجدة في أشدها، إذْ يقولُ:

وأخرى إذا لم تفعلوها فلم تزل حزازات قلب الموجع المتوجّدِ

تبيدونهم عطشى كما قتلوكم ضـــماء قلوب حرها لم يبرّدِ (المصدر نفسه،ص٣٩).

وحينما ننتقلُ إلى قصيدة أخرى من قصائد الرّثاء الاستنهاضية وهي من أشهر قصائده الاستنهاضيّة، وكما يُقال: هي أفضل قصيدة استنهاض للإمام المهدي (عليه السلام) في الشّعر العربي حيث يكاد لا يذكر الشّاعر إلا وتذكر معه أو اقترن اسمه بهذه القصيدة وهي الأكثر تناقلاً عند أرباب المقتل الحسيني وأعلام منبره ومطلعها:

الله يا حامي الشـّــــريعــة أتقرُّ وهي كذا مروعه

مات التصبّرُ بانتـــظارك أيُّها المحي الشّريعه

فاشحذ شبا عضب له الأ رواح مذعنة مطيعه

واطلب به بدم القتـــــيل بكربلا في خير شيعه

(المصدر نفسه،ص٨٧).

فنرى السيّد الحليّ يستنهض الإمام المهديّ (عليه السلام) ويذكّره بما فعل الظّالمون بالإمام الحسين أهل بيته؛ ليثير حماسته، فيذكر له فضاعة يوم شهادة الإمام الحسين(عليه السلام) و بيان حال عياله وأهل بيته ويحثّه على الأخذ بالثّأر والانتقام من أعداه، إذْ يقولُ:

ماذا يهيجك إن صـــبرت لوقعة الطّف الفظـــيعه

أترى تجـــــيء فجيعةٌ بأمضَّ من تلك الفجـــيعه

حيث الحسين على الثّرى خيل العدى طحنت ضلوعه

(المصدر نفسه،ص٨٧)

وتستثير ثائرة الشاعر ويلهب حماسًا وغضبًا، فيقول:

يا غيرة الله اهـــــتفـي بحمـــــــيّة الدّين المنيعه

وضبا انتقامك جـــرّدي لطـــــلا ذوي البغي التليعه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

ودعـــي جنود الله تملأ هـــــــذه الأرض الوسيعه
ما ذنب أهـل البيت حـ تى منـــــــهم أخلو ربوعه
تركوهم شتى مصارعهم وأجمـــــــــــعها فظيعه
فمغيّــب كالبدر ترتقـب الـــــــــورى شوقاً طلوعه

(المصدر نفسه،٨٧).

النَّتائجُ

خلصت الدراسةُ الى طائفة من النّتائج، ولعلّ من أكثرها أهميّة:

١ـ أفاد السيّد الحليّ من اطّلاعه الواسع على دواوين الشّعراء العرب في بثِّ مضامين الاستنهاض ومعانيه، وجاء باضافات على ما جاء به من سبقه من الشّعراء المميزين خصوصا في غرضي الشكوى والعتابِ.

٢ـ كانت حوليّاته أحدى مقومات الرّصانة والجودة في شعر السيّد الحليّ لما قدّمت له من وقت تضمن نقاشات وحوارات أسهمت في تنقيح قصائده.

٣ـ استشعر السيّد الحليّ زعامة أدبيّة علت على أقرانه من الشّعراء، وليس هو وحده من استشعر ذلك وإنّما لمسها من أحاط به ودلّه عليها كثيرون.

٤ـ لم تألف متون الدواوين ولم يحضَ شعر الشّعراء بما ألفه شعر اسيّد حيدر الحليّ من عناية باستنهاض المهدي (عليه السلام) لما فرضته دواخله وعززته احتياجات المجتمع الّذي يعيشه.

٥ـ تأثّر السيّد الحليّ بمَن سبقه وهو أمر مألوف ولكن أكثر من تأثّر بهم هو عمّه السيّد مهدي الحلي فضلا عن ابن العرندس وهو ما برز في سيرته.

٦ـ كثرة شعره وقصائده في الرّسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السّلام) من عطايا وجوائز عرفها كثير من الشّعراء جعلت شعره يتميّز بصدق العاطفة التي ظهرت جياشة ولاسيما عندما يتعلّق الشّعر بالإمام الحسين (عليه السلام) ليتسارع بعدها نحو الإمام المهديّ(عليه السلام) طالبا استنهاضه لأخذ الثّأر ورفع الظّلم.

٧ـ نالت شخصية السيّد الحلّيّ المتّزنة احترام العلماء والنُّخب الثّقافية والاجتماعية الّتي راحت تظهر له التّقدير والاجلال.

٨ـ زاد الرّثاء على غيره في قصائد السيّد الحليّ ر وأبياته ولاسيما رثاء الرسول الأعظم وأهل بيته لأسبابٍ تتعلّق بانتماء الشّاعر الى أسرة دينية ذابت في حبِّ أهل البيت(عليهم السّلام) وغذت الشّاعر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ

بهذا الحبّ.

المصادر والمراجع

١. ابن فارس، أحمد(١٩٧٩م)، مقاييس اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢. الأميني، محسن(١٩٨٣م)، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٣. الحلّيّ، حيدر(١٩٩٥م)، الديوان، الحيدريّة، النجف.
٤. الخاقاني، حسن(١٩٩٩م)، الاستنهاض في الشّعر الحسيني في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الفكر، القاهرة.
٥. سليمان، كامل(ب.ت)الايديولوجيا الشيعية في رثاء الحسين، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
٦. شبّر، جواد(٢٠٠١م)، ادب الطف او شعراء الحسين، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت.
٧. ضيف، شوقي(ب.ت)، تاريخ الادب العربي، دار المعارف، بيروت.
٨. طبل، حسن(١٩٩٨م)، أسلوب الالتفات في البلاغة القرانية، دار الفكر العربي، القاهرة.
٩. علوان، علي(١٩٥٧م)، تطور الشعر العراقي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية بغداد.
١٠. عنوز، صباح(٢٠١٣م)، دلالة الصورة الحسيني ، الاعلمي للمطبوعات ، لبنان.
١١. مطلوب، أحمد(١٩٩٠م)، البلاغة و التطبيق، وزارة التعليم العالي، جمهورية العراق.
١٢. اليعقوبي، محمّد(١٩٥٥م)، البابليات ، المطبعة العلمية ، النّجف الاشرف.
13. Ibn Faris, Ahmad (١٩٧٩), Language Scales, Dar Al Fikr Al Arabi, Cairo.
14. Al Amini, Mohsen (١٩٨٣), Shiite Notables, Dar Al Ta'aruf for Publications, Beirut.
15. Al Hilli, Haidar (١٩٩٥), Al Diwan, Al Haidariyah, Najaf.
16. Al Khaqani, Hassan (١٩٩٩), Revival in Husseini Poetry in the Nineteenth Century AD, Dar Al Fikr, Cairo.
17. Suleiman, Kamel (n.d.), Shiite Ideology in Elegy of Hussein, Dar Al Kitab Al Lubnani, Beirut.
18. Shabbir, Jawad (٢٠٠١), Al Karama Literature or Poets of Hussein, Arab History Foundation, Beirut.
19. Daif, Shawqi (n.d.), History of Arabic Literature, Dar Al Maaref, Beirut.
20. Tabl, Hassan (١٩٩٨), The Style of Attention in Quranic Rhetoric, Dar Al Fikr Al Arabi, Cairo.
21. Alwan, Ali (١٩٥٧), The Development of Modern Iraqi Poetry in Iraq, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah, Baghdad.
22. Anouz, Sabah (٢٠١٣), The Significance of the Husseini Image, Al-A'lami for Publications, Lebanon.
23. Matloub, Ahmed (١٩٩٠), Rhetoric and Application, Ministry of Higher Education, Republic of Iraq.
24. Al-Yaqoubi, Muhammad (١٩٥٥), Babylonians, Scientific Press, Najaf Al-Ashraf.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الرابع والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٦هـ